وصفُ الوزيرِ الصالحِ الكافي الناصحِ

اجتمعتِ الآراءُ على أنه ينبغي أنْ يكونَ وزيرُ الملكِ مِمنْ يجمعُ بينَ الأصلِ والفضلِ، والقولِ والفصلِ، والأدبِ الجزلِ، والرأيِ الثاقبِ، والتدبيرِ الصائبِ، ويرجعُ إلى نفسٍ أمارةٍ بالخيرِ، بعيدةٍ عن الشرِ، مدلولة على سبيلِ البرِ، ويجمعُ أدواتِ السيادةِ، والأدبِ والرياسةِ، بمحبة يطبق بها قلوبُ العامّةِ بعدَ الخاصةِ ويمُضي أيامَه بينَ نصحٍ يُؤثّرهُ وجميلٍ يؤثّره، وجدٍّ في مصلحةِ المملكةِ يستعمله، وجُهدٍ في التقربِ إلى سلطانه يتحمّله، ويخلصُ على النقدِ والتمييزِ خلوصَ الذهبِ الإبريز، فإذا اجتمعَ الملكُ الفاضلُ، والوزيرُ الصالحُ الناصح، فأحرَى بالمملكةِ أنْ تكونَ ساكنةً هاديةً، وأعمالها وأحوالها على النظامِ جاريةً، والرسومُ الجميلةِ راتبةً، وطرُقُ التجاراتِ آمنةً، والأسفارُ منحطةً، وثغورُ الخيراتِ مبتسمةً، ونفوسُ الرعايا في ظلالِ السكون وادعةً، وفي رياضِ الأمنِ راتعةً.

وعُمدةُ الأمراءِ في الوزارةِ أن يُستَوْزَرَ الشريفُ المذكورُ، ولا يؤهَّلَ لها الوَضيعُ المجهولُ، كما فَعلَ غيرُ واحدٍ من الملوُك، فخانوا ملكَهم، وأراقوا دِماءَ دولتِهم، وهدموا ركنَ سياستهم، ومنهم عزُّ الدولةِ (بَخْتيارُ) فإنه بسوء الاختيار استوزرَ صاحبَ مطبخِه أبا طاهرٍ؛ محمدَ بنَ بقيةَ، وكان إلى اليومِ الذي خُلعَ فيه عليه يُقدّم إليه الطعامَ، ويحمل إليه الغضائر بيده، ويتمسح بمناديل الغمر، ويذوق الألوانَ عندَ تقديمه إياها، كما يفعلُ مَنْ يتقلّدُ المطبخَ، ولما استوزرَ عادَ يريدُ الخدمةَ في ذلك، فنهاه (بختيارُ) وتعجّبَ الناسُ من ذلك، وقال قائلهم: من الغَضارة إلى الوزراة، ولم تكنْ

عينُه تقـعُ إلا على مَنْ فوقَه من أصاغرِ الناسِ، وأما أكابِرُهم وأوساطهم فلم يكن ممنْ يكلمونه، وزادت به دولةُ (بختيار) إخلاقاً وعاراً، وتضاحكَ الناسُ به قرباً وبعداً، وكانَ كلٌّ منهما سبباً لهلاكِ صاحبهِ.

obeikandl.com